

اسرار اللغات واللهجات

٥٢. لكل لغة او لهجة ذوق خاص بها

Philosophie des Dialectes.

ان لكل لغة او لهجة ذوقا خاصا بها ولكل كلمة او جملة وقعا دقيقا لا يتجدد في مقابلها من لغة اخرى .

فقد يجد الانسان بونا كبيرا في النوق بين تركية اهل الاستانبوليين تركية سكان الضواحي من التركمان . ولغة البداا من العرب نبرات لا يجدها في لغة الحضرة منهم . وفي اناشيد البدو واغانيتهم جرس خاص يضطر المغنين من الحضرة الى احتفائهم في بعض ما ينظمون ولا سيما ما كان للحماسة او التياحة .

واهل العراق ينقلون الاغاني السورية والمصرية على حالها لخاصية فيها ؛ وان ادى ذلك الى ما ليس في مألوفهم من قلب القاف همزة ، والظاء زاياء مفخمة ، والجيم كافا فارسية . ويرون ان تحقيق غايتها الاصلية مفسد لشونها .

ومن ثم كان من العبث ان نلتصق في الترجمة ما نلتصقه في الاصل من التأثير في العواطف . فكم من شعر نظم في لغة اولهجة فهز العواطف ، وحرك الرواكد ثم صادف عكس التأثير بعد نقله الى لغة اخرى ، اولهجة تخالف اللهجة الاولى ، وان كانتا بنتي لغة واحدة .

فآيات الكتب المغنصة المعربة مثلا يشهد العقل بان فيها حكما بالغة ، لكن العاطفة لا تشهد بقوة فعلها في النفوس بعد التعريب إلا ما لا يلحظ فيه التأثير ببعض الاحكام والقصاص .

وطائفة من القرآن اذا نقلت الى لغة اخرى كان نقلها سلبا خلعت الاعجاز المفرغة عليها ، فقول القرآن : « واعصموا بصل الله جميعا ولا تفرقوا » نموذج من اعجاز . ولكنها اذا ترجمت الى التركية مثلا فقيل : (هيكز الهك اينه طوتكر) ذهب تلك الطلاوة ولاقت آية القرآن ما لاقت آية الزامير الانبية بعد تعريبها وهي : « واسحق اعداء امام وجهه . . . وباسمي ينصب قرنه » ا

وفي بعض المناجاة: «وتنصب مثل البقر الوحشي قرني» ! - ص ٥٤٢-٥٤٤ .
وكثير من الامثال العامية لا تؤدي كل مزاياها اللغة الفصحى وكذلك بعض
امثال اهل بلدة اذا نقلت الى اختها في القومية ؛ لذلك نجد الامثال تنقل على علاتها
فالمثل المشهور في العراق ينقله السوريون على علاته وهكذا العكس .
لا ترى ان المثل الذي ضربه (تابع الكرخ) في بعض قصائد العامية ، وهو :

« والحان هنّي يامضيدي مثل ذبيح في الحقيقه خوش مركه وخوش ديج
وقول العرب في اثناء الثورة العراقية :

« سل (دكسن) عنا اش سوينا وهنسا علكنا الكنارة »

والمثل المشهور: « ما زال كهوة وتن كل الامور تهون » .
لو ترجمت الى اللغة الفصحى ، او اللهجة السورية أو الموصلية لكان مسخا
مجبوجا .

والانشودة التركية وهي :

آرى كزر . جيبك امر . قوشلر اوحر . بريم اوار

لو ترجمت الى العربية هكذا :

النحلة تدور . تمتص الزهور . تطير الطيور . لانتماس الحب
لتجلى فيها التفاهة . اللهم إلا ان يقال ان هذا المعاني قندت على قدر الصغار ،
لانها وضعت اناشيد لهم . غير اني مع هذا الاعتذار لا ازال مصرا على رأيي .
لكن لو ترجمنا القطعة المتداولة بين الصغار ايضا وهي قطعة تتضمن تحاورا
بين الزنبار والنحلة اذ يقول الزنبار :

ايها النحلة ماذا . يشغل الناس بحبك . انتي في حسن شكلي . لست محبوبا كحبيك
الى آخر المحاوراة . . . لما شعرنا بتلك التفاهة . فلا بد ان يكون في القضية سر
وهذا السر قد يكون في ضيق صدر اللغة عن اداء المعنى او ترفعها عنه .

واللغة الفارسية فيما اظن تعجز عن اعداد قالب مكين للمعنى الذي تضمنه
بيت الحماسة وهو :

فلما تأت عننا العشيثة كلها انخنا فحالفنا السيوف على الدهر
ولعل الفارسية آتيت من قبل انه لا يتفق بين جبلها مثل هذا الوضع الذي
منه الشاعر البديوي المتحمس :

كما ان اللغة العربية تتجاني عن تهينة لباس مناسب لمضمون بيت الكلستان:
اي مرغ سحر عشق زبروانه، ييلموز ...

اي : يباطئر السحر تعلم العشق من الفراشة ...

لان اللغة العربية وضعت للطائر الصغير الذي يسميه الفرس (بروانه) ، لفظه
(فراشة) ، والفراش يطلق في عرف العرب على الهمج بصورة عامة فاندمج في هذا
العموم ذلك الطائر الجميل فيكون في تكليف طائر السحر الاقتداء به في منهب
العشق يفس لحقه وحظ من قدره وهذا مما يبابا النوق العربي السليم .

نعم لو كان في العربية اسم خاص بهذا النوع من الهمج بحيث يميزه عن
هذه الحشرات الخسيسة وينوب بشأنه كما سماه العامة من اهل الموصل ومسلمي
بغداد (طائر الجنة) (١) لما كلف في تكليف طائر السحر الاقتداء به غضاضة في
نظر الادب .

ويقال بصورة عامة : ان الجمال التي يدور عليها البحث قدت على قدر اللغة
أو اللهجة ، وصبت في قالب ملائم ، فاذا انزلت في قالب لغتي أو لهجة اخرى
من دون تعديل ، كانت كالثوب الذي قطع لشخص فارتنى به شخص آخر .

وهذا التماثل المحسوس بين اللغات واللهجات ، ليس جاريا في جميع نواحي
الكلام ، بل انك لتجد تماثلا قويا في بعضها . فقول الشاعر الفارسي :

جهان اي برادر نمائند بكن ...

مماس لقول الشاعر العربي القديم :

اشاب الصغير وانى الكبير كر القداة ومر العشي

اذا ليلت هربت يومها أتى بمد ذلك يوم فتي

حتى في الوزن ، ولاغرو فان للاوزان علاقة قوية بمواضع الشعر ، ومثلها

(١) عوام بغداد من النصارى يسمون الفراشة « بشاره » لانها تيشر باقبال الربيع واما

سبب تسمية الفراشة بهذا الاسم فهو لانها تخرش جناحها . (ل ع)

بيتان انشديهما بمض الغرض من نحو عشرين سنة :

بقبرستان كزر كردم كم ويش . بديلم قبر دولتمند ودروش
ولا اتذكر الثاني . قاتهما يلامسان بيتين قاتلتهما العرب في القديم وهما :

نطوف ما نطوف ثم ياوي ذور الاموال منا والعديم
الى حفر اسافلن جوف واعلاهن صفاح بقيم

وقد ترجم العلامة سليمان البستاني (رح) بيتا من ابيات (الابلياذة) بقوله:

وتخفق احشاهم كما للبح خائق اذا لقي البحر الرياح السواقبا

فصاب المعز . ومثله - كما نص عليه في الحاشية ص ٥٢٥ - قول الشنفرى:

ولا غرق هيق كان فؤاده يظل به المكاء يملو ويسفل

وانشديني الشيخ بشير الغزي رحمه الله بيتا ترجمه من الفارسية وهو :

ما حرة الياقوت إلا خجلت من صخره قد ضمخت بدم الحسين

غير اني - ولكل انسان ما يرى - لم اره موافقا للنوع العربي وان
جاز دقة في التشبيه والابتكار مع حسن السبك في التعريب . وعلى من يعرف
الاصل ان يقابل بينه وبين الفرع .

وقد هدتي التجارب الى ان الرجل في بلادنا اذا قيل له (قليل الادب)

او (عديم الادب) لم يكن لها في نفسه وقع كلمة (ادبسز) لان الثانية مشربة
معنى دقيقا لا يفتدي اليه الاذواق إلا اذا برزت اللفظة الدالة عليه في بزة خاصة .

ولو قيل لرجل : (متشرد) لم تبلغ في نفسه مبلغ كلمة (سرسري) التركية .

وربما اصطلح اهل مدينة على كلمة يطلقونها على معنى 'او يريدون بها مغزى'

فلا يقوم مقامها ككلمة اخرى ، مهما حاول المتكلم اداء المعنى المطلوب بها .

أو الايماء الى المغزى الذي يرمون اليه كاطلاق البندارين لفظة (مترقي) على من

كاتب حديث عهد بنعمة فاورثته غرورا ، فهناك لايسد مسد (مترقي) لفظة

(مشرود) ولا (متكبر) ولا (معجب) ولا (طائش) ولا (ذو تيه) ابدا وان

كنا نجبر عن معناها في الفصحى بقولنا « شمش بانفه » او (اصعب بنفسه) مثلا .

إلأن هذا الاصطلاح وقتي لا يلبث ان ينطفيء لانه موضعي وغير مندوم .

راهل الموصل يقولون ازاء ذلك (زم) وهي تؤدي تؤدي (مترقي) في

مصطلح البندادين لاتنقص عنها شيئا .

إلا أن لفظة (زم) عريقة في القدم اما لفظة (مترقي) فاظهرها وليدة الاختلال وذلك انه كثر في هذا العهد تطاول الاوباش الى ما ليس من شأنهم من مراتب سامية ما كانوا يحلمون بها . وكلت احدهم اذا هبت ريحها كبر في عين نفسه وشمخ بانفه على اصحابه وعشرائه اللاصقين به متاسيا حقوقهم فينبزونه بقولهم « ترقي » ...

ويقول اهل الموصل للمبد الأسود خاصة اذا استشاط غضبا وحيا وطيس غيظه (زكر) ولا يفتي غناها عندهم (غضب) ولا (زعل) ولا (شخر) ولا (نخر) ولا (ابرق) ولا (ارعد) بل الكلمة الجامعة لكل هذه المعاني هي (زكر) وان كنا مضطرين في الفصحى الى ان نقيم مقامها (عريد العبد) بيد ان ذلك لا يشغل الفراغ الذي يشغله قولهم (زكر) ومنها قولهم « ... زكرت بمرورة (١) » .

امعان النظر في الملاحظات السابقة يكفيها باعشا على التردد في ادعاء من يدعي ان الذين ترجوا رباعيات الخيام مثلا حافظوا على جميع مزايها من جميع اطرافها .

وعلى النظر بين الاحتياط الى دعاة التجديف في الشعر العربي باحتذاء الافرنج فيه ما لم يوضحوا مناهجهم ويزيحووا ككل غشاوة . ويعطوا عهدا بوجوب الاحتفاظ بكرامة اللغة العربية وخصائصها النوقية ولا مانع من تهذيب لا تشويه فيه . وعلى التنظر بين الرينة الى قول من يقول : ان في اللغة الفصحى تفصلا لها تعجز احيانا عن اداء بعض ما تجيش به صدورنا - اذا كانت غاية القائل الاعراض عنها الى اللغة العامية - لان كثيرا مما تجيش به صدورنا تعجز اللغة العامية عن ادائها اكثر مما تعجز اللغة الفصحى . وهكذا يقال في اللهجات العامية المتباينة وان كانت شقائق . وفي اللغات الأجنبية اية كانت . فكل منها تعجز عن تحمل بعض ما تتحمله الأخرى من الخصائص . فمن كل على راي هذا

(١) عوام بغداد يقولون في معنى زكر : سنكم ومنها سنكبة العبد اي سورة غضبه . اما

القائل ، وكان عراقياً ، احلته على الجرائد المصرية العامة ؛ وان كان مصرياً احلته على الجرائد العراقية العامة ؛ لينظر كل من خالجه شبهة من اتباع كل ناعق دساس ! هل ثمة ما تطمئن اليه نفس الناصح لامته المتفاني في شد ازر الجامعة العربية ؟

ان هناك خروجا على هذه الجامعة ، ومحاربة لها بسلاح التفريق الغوي بمد ان حوريت بسلاح التفريق الجغرافي ١٩٠١ .

واجدر بمن كان مخلصا للغة ولجامعة اللغة ويجري في عروقه حبها والحرم على حياتها ان يثابر على سد التلم الذي يدعيه ، وإلا فيصرح ببله شديقه انه غادر بقومه ، او دخيل فيهم فهو مثل السوس في بناتهم ، والجرنومة الحبيثة في بنيتهم .

محمود الملاح

L'AXIS. الدرداقس

في « البستان » للبستاني : (الدرداقس) ويقال ايضا بالصاد . عظم يصل بين الرأس والعنق معرب عن الرومية . الا . وهي عبارة اقرب الموارد ومحيط المحيط وكل من اخذنهما اول من غلطها صاحب القاموس لانها عبارته والخطأ واضح ، والصواب : يفصل بين الرأس والعنق . او يصل الرأس بالعنق ؛ لكن لغويينا المحدثين حاطبو ليل ينقلون بلا ترو ولا تبصر .

وغوليوس وفرنتع ودوزي وقزميرسكي وسائر نقلة الافرنج لم يدكروا الكلمة الرومية (اي اللاتينية) التي صحفت عنها . ونظن انها من Dorsi axis أي محور الرأس وهو معناها . على ان السلف الفصحاء عرفوها باسم (الفائق) من (ف وق) لانها تفرق جميع الفقار بعلوها ، و (الفهقة) قال ابن الاعرابي الفهقة : موصل العنق بالرأس . وهي (السرير) ايضا اذ يجلس عليها الرأس ويقر .

وجاء (درقاس) في الشعر بدلا من درداقس . أنشد ابوزيد :

من زال عن فصدالسييل تزايلت بالسيف هامته عن الدرقاس

(اورد ذلك صاحب اللسان والتاج في مادة (در د ق س)

قال ابوزيد : و (المتقية) على عظم الفائق مما يلي الرأس . الا فتكون هذه

هي المسماة بالافرنسية : L'axis (المخصص ١ : ٦٠) فاحفظ كل ذلك .